



مطابقة لفتاوى المرجع الديني
آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي رحمته الله

أجوبة المسائل الشرعية

من وصايا الإمام الرضا عليه السلام: من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه

السيد المرجع عليه السلام: التصدي للذين يقومون بإراقة دماء الشيعة .. مسؤولية كل الشيعة

اليوم، من المؤسف، أن نرى ثقافة القتل والذبح والتعذيب وقد باتت تنمو وتقوى في البلاد الإسلامية مرة أخرى. وإن المظالم والمجازر التي تقع في مصر وسوريا وباكستان والعراق وغيرها من نقاط البلاد الإسلامية اليوم، هي امتداد لذلك التيار الذي بدأ ونشأ بحرقه لبيت الزهراء عليها السلام، حيث بدأت هذه المظالم تبرز اليوم أكثر وأقوى من الماضي. ومن المؤسف أن بعض الحكومات الإسلامية تدعم مرتكبي هذه المظالم والمجازر. إذن فمن هو المسؤول عن صدّ هذه المظالم والجرائم ومنعها؟

بالأمس، وبأمر مباشر من كان يحكم باسم الإسلام، وهو عبيد الله بن زياد، قتلوا مسلم بن عقيل عليه السلام، وسحلوا جثمانه الطاهر في أزقة وشوارع الكوفة، ولكن اليوم نرى الحاكم باسم الإسلام، أنه يأمر بذلك من وراء الستار كي يصل إلى مبعاه. واليوم نرى، أن جماعات معينة تقوم بقتل الشيعة، وتقطعهم إرباً إرباً، ويسحلونهم في الشوارع، ويذبحونهم باسم الإسلام وبهتافات الله أكبر! من المسؤول في التصدي للذين يقومون بإراقة دماء الشيعة بالعالم، ظلماً وعدواناً؟ أليس هذا من مسؤولية الشيعة كلهم؟ فإن الشيعة اليوم، ولله الحمد، يتمتعون بمستوى جيد من القدرة والعلم والثروة والإمكانات، وحتى في عدد النفوس، حيث ذكرت بعض الإحصائيات أن عدد نفوس الشيعة قرابة المليار.

إذن على الشيعة كافة، بالأخص المتواجدين في البلاد الحرة، أن يهتموا ويهتموا إلى الاستفادة من الحريات المتاحة بأحسن ما يمكن. كما يجب على السياسيين الشيعة أن يستفيدوا من مقامهم ومنصبهم في الدفاع عن الشيعة، وأن يعملوا دبلوماسياً على أن يجعلوا الشيعة في أمان وأمن وسلام. إن الشيعة اليوم هم قطب قوي من أقطاب القوى بالعالم، بل إنهم الأقوى (كيفية) على وجه المعمورة، وعليهم أن يكونوا الأقوى بالفعل أيضاً. فالشيعة إذا فعلوا قوتهم، فسينعم العالم كله بالحياة، وينجو من المظالم المدمرة.

يجب على الجميع، بالأخص المبلّغين، أن يقوموا بدورهم، ويتصدوا لثقافة معاوية، التي بدأت تظهر على الساحة اليوم، بالجرائم والمجازر والمظالم نفسها التي ارتكبتها معاوية، لأنه إن لم يتم التصدي لهذه الفتنة، فإن هذه المجازر وسفك الدماء والمظالم، ستطال حتى الدول الحرة بالعالم أيضاً، كما على الشيعة في كل مكان، أن يؤدّوا مسؤوليتهم في إحقاق حقوق الشيعة المظلومين في كل البلاد، وأن يدافعوا عنهم.

مظلومية الشيعة .. مستدامة

مآسي الشيعة عمرها عقود طويلة متخمة بوقائعها المريرة وتفصيلها الدامية، فكانوا - وما زالوا - يتعرضون إلى اعتداءات إجرامية (ذبحاً وتهجيراً)، واستهدفت تجمعاتهم المدنية (تخريباً وتفجيراً) في الأسواق العامة والمناطق السكنية، ولاحقت زوار المرافد المقدسة (ترويعاً وتقتيلاً). على مدى حقبة مجحفة، ظل الشيعة وما زالوا يكابدون آلام هذا الواقع المأساوي، وهم يتعالون على الجراحات، ويكظمون الغيظ، وقد كتبوا صفحات مشرقة بالعبث والنبيل والتسامح، لكن بعض المسلمين يصبر على البقاء بعيداً عن قيم الأخوة والتعايش والحوار والسلام. وهذا ما يجعل الأمر أكثر تعقيداً، وهذا ما يجعل مظلومية الشيعة مستدامة والدم الشيعي يراق باستهتار.

في العام 1999م، صدر كتاب (الشيعة العرب: المسلمون المنسيون) باللغة الإنجليزية لمؤلفه «غراهام فولر» الذي يتمتع بخبرة طويلة في دوائر السياسة الأمريكية، والباحثة الأمريكية العراقية ذات الخلفية السنية - الشيعية «رند رحيم فرانكي»، وتناول الكتاب واقع الشيعة في البلدان العربية من النواحي السياسية والقانونية والاجتماعية، حيث عمدت الحكومات على ممارسة الظلم الممنهج لهم على مدى القرون المتعاقبة.

المؤلفان في تحليلهما لطبيعة أزمة الشيعة العرب يؤكدان أنها ليست كسائر مشاكل الأقليات الأخرى المنتمية حتى لدنابات خارج منظومة الإسلام، ولقوميات غير عربية من مسيحيين ويهود وأكراد وغيرهم، من الذين حظوا بحماية قانونية وحفظت حقوقهم، بدرجة أكبر بكثير من الشيعة، عبر تاريخ الحكومات في العالم الإسلامي والعربي، فالشيعة لم يمنحوا حتى مرتبة الأقلية! مما يجعل وضعهم معقداً أكثر ومشحوناً عاطفياً، علماً بأن الشيعة لا يشكلون الأقلية دائماً في جميع دول تواجدهم، فهم يشكلون الأكثرية في العراق والبحرين، وهم أكبر مكون من مكونات المجتمع اللبناني، ومع ذلك فقد كانوا عرضة للتمييز والاضطهاد الممنهج عبر التاريخ، وهذا يشير إلى أن قضية الشيعة أعمق من كونها قضية أكثرية وأقلية.. ربما هي قضية وجود وضد الوجود!!

واقع شيعي .. مأزوم

رغم الإقرار الدولي بأن ثلث ضحايا الإرهاب في العالم، خلال السنوات العشر الأخيرة، كانوا من شيعة العراق، تزامناً مع صدور ما معدله ثلاث فتاوى أو دعوات (يومية) ضد الشيعة، تطلق في مساجد أو عبر وسائل إعلام، تكفر الشيعة وتدعو إلى تهميشهم أو قتلهم أو تهديم أماكن يقدسونها.

ورغم مشاركة بلدان ومجتمعات مسلمة (فقهياً ومادياً، تنظيمياً وتسليحاً، إعلامياً وبشرياً) في صناعة واقع شيعي دموي في العراق، نتيجته عشرات الآلاف من الضحايا، قتلوا ذبحاً أو تفجيراً، لا ذنب لهم، فقط لأنهم شيعة.

ورغم أن المجتمع الدولي، ما زال يقف بعيداً عن مسؤولياته الإنسانية، بل بعضه يساهم بنزيف دماء الشيعة في العراق وأحاء العالم، راح صحبته الملايين، ما بين قتل، ومعاق، ومعتقل، ومهشم، ومهجّر، ومحروم.

ورغم إزدياد نشاط تنظيم القاعدة في دول ما يسمى بـ"الربيع العربي"، ونفوذ الجماعات الإرهابية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وولادة تنظيم إرهابي (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، عدد مسلحيه أكثر من مائة وخمسين ألف من عتاة التكفيريين، جاؤوا من ثلاث وثمانين بلد، وقد أعلن عن هدفه الأموي عند "أسوار الكوفة"، وصولاً لقيام حكم ديكتاتوري يقضي الشيعة!

ورغم، إن التكفيريين يتناسلون فكرياً، حيث يستفزه الوجود الشيعي وهم خارج الحكم، ويستفزه أكثر، وهم في الحكم! وقد عبّؤوا المجتمع في مدن ذات أكثرية غير شيعية في العراق بأفكار تكفيرية وإجرامية؟

رغم كل تلك الوقائع والفجائع، مازال المشهد السياسي لشيعة العراق متخماً بالخلافات الجانبية، والتصارع على المصالح الفئوية والحزبية، وحملات التسقيط السياسي والاجتماعي، والتهرّب من مسؤولية إراقة الدماء والفشل بتقديم الخدمات الحياتية، تهرّب لن يجعل من العراق إلا بلداً موجوعاً، ولن يجعل الشيعة إلا ضحايا تنتظر الذباحين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

العيش بدينه

س: ورد في المستدرک للنوري ج ١٣ ص ١١ حديث ٤، قال رسول الله ﷺ: (المؤمن إذا لم يكن له حرفة يعيش بدينه)، هل حرف الدال في كلمة (بدينه) مفتوحة أم مكسورة، وما المقصود من هذا الحديث؟

ج: الدال مكسورة، والمقصود من الحديث أنه: المتعارف عادة أنّ الإنسان الذي لا مال له ولا حرفة يرتزق منها يحاول أن يرتزق بدينه، والتظاهر بأنه متدين وأهل للمساعدة ونحو ذلك، وهذا الأمر مذموم شرعاً ومنهيه عنه.

الصلوة أول الوقت

س: كيف يمكنني أن أواظب على صلاتي في أول وقتها، خصوصاً أنني أرى بعض من حولي يهملون صلاتهم، ويجعلونها آخر الأولويات لديهم؟

ج: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ النساء/١٠٣، وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المؤمنون/٩، يعني: إن المؤمن هو الذي يهتم بصلاته ويحافظ عليها بتعلّم أحكامها ومسائلها، وبأدائها في أول وقتها.

وإن أداء الصلاة في أول وقتها _بالإضافة إلى أنه من علامات الإيمان_ فيه ثواب عظيم وفوائد في الدنيا والآخرة، ففي الحديث الشريف أن الصلاة في أول وقتها جزور (أي الإبل التي أكملت خمس سنين)، بينما في آخر الوقت عصفور، وفي حديث آخر: فضل الصلاة في أول وقتها كفضل الآخرة على الدنيا، إلى غير ذلك من الأحاديث

الشريفة، لذا ينبغي على المؤمن عدم تأخير الصلاة، بل أداؤها في أول الوقت إن شاء الله تعالى.

القنوت

س: القنوت مستحب في الصلاة، وذلك يجعل باطن الكفين نحو السماء والنظر فيهما، فلو كان في يده خاتم، فهل يستحب جعل فصّ الخاتم نحو السماء والنظر فيه أيضاً؟

ج: كون الخاتم في اليد مستحب، أما إدارة الخاتم للقنوت والنظر إليه، فلا دليل على استحبابه.

قضاء شهر رمضان

س: شخص عليه قضاء شهر رمضان، حيث ترك صيامه أيام شبابه متعمداً، وذلك بسبب جهله وعدم المبالاة وقلة المرشدين و... والآن هو يقضي، هل يضم الكفارة إلى القضاء مع العلم بأن كفارة سنين عديدة توقع المكلف في حرج وشدة؟

ج: يلزم عليه قضاء ما فاتته شيئاً فشيئاً، وعليه الكفارة إلا إذا كان عاجزاً عنها فتدرّج إلى الأقل حتى تصل إلى إطعام فقير واحد، وإذا لم يتمكن حتى من إطعام فقير واحد، استغفر الله لكل يوم مرة.

الحج

س: هل يجب عليّ الحج مع توفر المال والخوف من أن يطرأ مانع، كالدورة الشهرية غير المنتظمة؟ وهل يثبت الحج في ذمتي والحال هذه في السنة القادمة حتى مع عدم توفر المال؟

وجوب التمكين، وإلا بأن كان لعذر أو حسب الاتفاق فيجب.

إذن الخروج للمعقودة

س: أنا طالبة جامعية مخطوبة ومعقودة بعقد شرعي وقانوني، فهل يجب عليّ أن أستأذن من خطيبي عندما أريد الخروج من البيت؟

ج: مادام لم يتم الزواج، ولم تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج، فلا يجب الإذن، ولكن مع ذلك، فإن الاستئذان أفضل وأشد لأواصر المحبة بين الزوجين.

الطلاق

س: هل للزوجة حق الطلاق إذا أصبح زوجها غير قادر على المعاشرة الجنسية لأمر طارئ، وربما كان من البداية إلا أن الزوجة لم تكن تعرف ذلك ثم عرفت فيما بعد؟

ج: إذا علمت الزوجة بعد العقد بأن زوجها مصاب بالعنن، جاز لها فسخ العقد، وإذا صار عتينا، بعد أن لم يكن كذلك، وكانت الزوجة في حرج شديد يحق لها المطالبة بالطلاق.

تبعات الطلاق

س: تم الطلاق بين رجل وامرأته، أرجو إفادتنا عما يحق للرجل والمرأة في الأمور المادية التي كانت بينهما، فما هو الحكم في المهر والشبكة والهدايا المتبادلة بينهما، وكذا فيما إذا حصل الدخول أو لم يدخل بها؟

ج: إذا تم العقد على فتاة ووقع الطلاق بينهما قبل الدخول فللزوجة نصف مهرها، وأما لو تم الدخول فالزوجة تستحق كل

ج: نعم، يجب الحج مع توفر المال واجتماع الشروط الأخرى، والخوف من طروء الدورة الشهرية، ليس مانعاً من الذهاب إلى الحج، فلو لم تذهبي في الفرض المذكور إلى الحج فقد استقر الحج عليك ووجب في السنة القادمة حتى وإن نفذ المال.

الخمس والقرض

س: اقتترضت مبلغاً من البنك وقمت بشراء أرض وبيعها، الآن القرض مضى عليه سنة وشهرين، وقد حان موعد رأس سنتي للخمس، والقرض في يدي الآن، فهل يجب فيه الخمس؟

ج: المال المقترض لا يجب فيه الخمس، وإنما يجب في المقدار الذي صار منه ملكاً لك (أي ما دفعته من أقساط القرض إذا كان الدفع بصورة أقساط)، وكذلك في الأرباح الحاصلة من بيع الأرض إن كان هناك أرباح.

تخميس الكفن

س: هل الكفن الذي أدخره في البيت لسنوات عليه الخمس؟

ج: يجب تخميس الكفن _ في فرض السؤال _ إلا إذا اشتري بمال مخمس فلا يجب تخميسه حيثئذ إلا إذا ارتفعت قيمته فيجب دفع خمس القيمة الزائدة.

الإنفاق على الزوج

س: إذا كانت الزوجة تصرف وتنفق على زوجها لعدم عمل الزوج، فهل وجوب التمكين يسقط عنها أم يبقى عليها؟

ج: إذا كان عدم الإنفاق عدواناً فيسقط

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

اخبثوا شيعتي بخصلتين، فإن كانتا فيهم فهم شيعتي، محافظتهم على أوقات الصلوات، ومواساتهم مع إخوانهم المؤمنين بالمال، وإن لم تكونا فيهم، فاعزب ثم اعزب.

يقول الإمام الباقر عليه السلام:

يا جابر أيكثني من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع، والتخشع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبر بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء، وأهل المسكنة، والغارمين، والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائريهم في الأشياء.

الندم على الخطيئة

المهر، وباقي الأمور يتم الاتفاق عليها فيما بين الزوجين، علماً بأن الشبكة والهدايا التي تمت بين الزوجين بعد العقد لا يمكن الرجوع فيها وكذلك المصاريف، نعم ما كان قبل العقد من شبكة وهدية جاز استرجاعها إذا كانت عينها موجودة.

س: أنا حالتي النفسية متعبة جداً، وذلك لأني خطبت، وكنت مقتنعة في البداية، ولكني الآن متندمة جداً، بل أصبحت أفكر بالانتحار لشدة حالتي ومعاناتي النفسية، فما هو الحل لمشكلتي هذه؟

ج: قال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ سورة النساء/ الآية ١٩، يعني: على الإنسان المؤمن سواء كان رجلاً أو امرأة، أن لا يندم على ما وقع وعلى ما قسم الله له، ففي الحديث الشريف أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لم يقل ولا مرة واحدة في حياته بالنسبة إلى ما وقع: يا ليت لم يكن كذلك، وهذا درس لنا، وقد أمرنا الله سبحانه بأن نقتدي بالرسول الكريم صلى الله عليه وآله في أمورنا وحياتنا، فعلى الإنسان _ إذن _ أن يكيّف حياته مع المستجدات تكييفاً شرعياً مع رضا وتسليم، واطمئنان خاطر وراحة قلب، لأنّ الله تعالى _ كما في الحديث الشريف _ لا يُقسم للإنسان المؤمن إلا ما فيه صلاحه وخيره وإن كان هو لا يعلم بذلك الخير والصلاح، وفي التوكل والرضا بما قسم الله للإنسان مضافاً إلى الثواب والأجر العظيم، السعادة في الحياة والهناء في العيش إن شاء الله تعالى.

طلب الولد

س: بالنسبة إلى الحمل إذا أراد الزوج أو الزوجة الولد وامتنع الطرف الآخر، فقول من يقدّم؟ الزوج أم الزوجة، أم لا بد من رضاهما معاً؟

ج: يجوز للمرأة الامتناع من الحمل فلا بد من رضاهما معاً.

تعطر المرأة

س: هل مطلق العطور التي تضعها المرأة يجرم عليها وضعها أم العطر المثير فقط هو الذي يجرم وضعه والخروج به للسوق أو أي مكان آخر بحيث يشمّه الرجال؟

ج: ينبغي للمرأة أن لا تتعطر لغير زوجها، فإنه يكره لها ذلك إن لم يكن مثيراً للفتنة، ومنشأً للريبة، وإلا كان حراماً.

عدم لبس الجورب

س: ما حكم عدم لبس الجورب أمام إخوان الزوج أو أمام زوج عمتي أو خالتي؟

ج: يلزم ستر ظاهر القدم وباطنها في فرض السؤال.

أموال المتوفاة

س: هل يجوز إعطاء أموال المتوفاة للصوم والصلاة نيابة عنها؟ علماً بأنّ هذه الأموال دين، والورثة لا يقبلون إعطاءها للصلاة والصيام؟

ج: لا يجوز في فرض السؤال.

توضيح عبارة

س: ما هو المقصود من (المطلوبية) في عبارة (برجاء المطلوبية)؟

فلا طاقة للإنسان بحمله، ويجب التعامل مع الوالدة بالحكمة والموعظة الحسنة وبفائق التقدير والاحترام إن شاء الله تعالى.

المحاسب

س: ذكرت سابقاً بأنه لا يجوز التصدي لبيع الخمر وتقديمه وكذا لحم الخنزير حتى لمستحليه، فهل العمل في هكذا محلات بعنوان (كاشير) محاسب ينطبق عليه ذلك الحكم أم لا؟

ج: العمل في نفسه جائز في فرض السؤال.

الكذب

س: هل يجوز لنا أن نكذب على شخص في شيء ما ونقسم (والله)، لأنه إذا قلنا الصراحة ممكن أن تحدث مشكلة، فهل يحاسبنا الله على ذلك ونكون مذنبين؟

ج: الكذب حرام ولا يجوز، ولكن يجوز له التخلص من مثل هذه المواقف المخرجة بالتورية. وهي أن يتكلم الإنسان بكلام يقصد منه شيئاً، ويفهم المتلقي منه شيئاً آخر.

الكوابيس

س: أنا أصاب بالكوابيس أثناء النوم، فماذا أفعل للتخلص منها؟

ج: لدفع أمثال ذلك، يلزم على الإنسان أن ينام مع الضوء، ويقرأ تسبيحة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

ج: المقصود: هو أن يأتي الإنسان بالعمل برجاء أن يكون هذا العمل مطلوباً عند الله تعالى، وذلك لأنه لا دليل معتبر عليه.

أقسام البيوع

س: ما هو تعريف سماحته لأقسام البيوع التالية: بيع المراجحة، وبيع المساومة، وبيع التولية، وبيع المواضعة؟

ج: البيع ينقسم باعتبار ذكر الثمن وعدمه إلى أقسام أربعة: لأن البائع إما أن لا يذكر الثمن الذي اشتراه به وهو المساومة، وإما أن يذكره فإما أن يزيد عليه وهي المراجحة، أو ينقص منه وهو المواضعة، أو يطلب المساواة وهو التولية، وبعبارة أخرى: البائع إذا كان قد اشترى، فإما أن يبيع مساومة، أي: من غير إخبار برأس المال، أو مع الإخبار بزيادة وهي المراجحة، أو نقصية وهي المواضعة، أو برأس المال وهي التولية.

هجران الوالدة

س: مرت عليّ سبعة أشهر لا أتحدث مع والدي، والآن لا أستطيع الرجوع والتحدث معها، فما هو الحل؟

ج: البرّ والإحسان واجب ليس شرعاً فقط، بل أخلاقاً وإنسانية أيضاً وخاصة مع الوالدة، وقد أمر الله تعالى به الأبناء بالنسبة إلى والديهم، وكل ما هو خلاف البرّ والإحسان من القطيعة والهجران فهو حرام، لذلك يجب على الابن البار كسر هذه القطيعة والهجران والتواصل بالكلام والزياره والبرّ والإحسان مع الوالدة مهما كان ذلك ثقیلاً عليه، لأنّ ثقل الدنيا يمكن تحمّله، وأما ثقل الآخرة _ والعياذ بالله _

يقول الإمام الصادق (عليه السلام):

• ليس من شيعتي إلا من عف بطنه وفرجه عن الحرام، واجتهد وسعى في الطاعة والعمل الخالص لله.

• فإنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه، واشتد جاهده، وعمل لخالقه، ورجى ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك، فأولئك شيعة جعفر.

أخرى: المداراة أن يكون موقف الإنسان تجاه الناس موقفاً يخدم في استقطاب الناس وهدايتهم إلى الإسلام والأخلاق والفضيلة بشتى السبل المشروعة.

❖ قسّم المسلمون الأوائل من حيث الأدوار إلى أربعة أقسام، فبعض امتاز بالقدّم في الانتماء فقط، دون أن يكون له قدّم ودور وموقف مشهود، وبعض وإن لم يكن له قدّم، بأن كان حديث العهد في الإسلام، إلا أنه امتاز بالقدّم والدور، وثالث جمع بين الفضيلتين، ورابع كان فاقداً لهما. ومثال الفريق الثاني، الذي له قدّم، وإن لم يكن له قدّم: ذاك الذي أسلم في الحرب مع رسول الله ﷺ، وتشهد الشهادتين، ثم قتل دون أن تمهله الحرب لصلاة بعدها أو صيام. أما مثال الفريق الأخير، وهو الذي لا قدّم له ولا قدّم، كالشيخ الذي يدخل الإسلام ويبدأ الالتزام، وقد ناهز عمره السبعين - مثلاً - فتراه يصلي ويصوم ويؤدي العبادات، ولكنه لا يتحمّل الشدة في الدين، وربما انفلت عنه عند تعرضه لأبسط امتحان، فمن الجدير المداراة لأمثال هؤلاء، لضعف إيمانهم، كما ينبغي المداراة للشباب أيضاً من أجل عدم انفلاتهم عن الطريق وتوغلهم في المعاصي.

❖ يظهر من الروايات أن النبي يونس عليه السلام كان قد ترك المداراة، وفعل غير ما ينبغي فعله، من باب الأولوية، ﴿فَالْقَلَمَ أَلْحُوتُ﴾، ونزل به ما نزل. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة في ليلتها، ففقد من الفراش، فدخلها من ذلك ما يدخل النساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت إليه وهو في جانب من البيت قائماً رافعاً يديه يبكي ويقول: "اللهم لا تنزع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❖ وردت في المداراة أحاديث وروايات كثيرة، يظهر منها مدى مكانة المداراة في الإسلام، منها: ما روي عن النبي ﷺ قوله: «من عاش مدارياً مات شهيداً». وقوله ﷺ: «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض». وقوله ﷺ: «بعثت بمداراة الناس». وكذلك ما روي عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «مداراة الناس نصف الإيمان». كما يختلف الناس في أشكالهم وألوانهم كذلك يختلفون في أخلاقهم وأذواقهم، ولا يكاد يوجد إنسان يشبه الآخر في كل الجوانب، والمداراة هي واحدة من الجسور التي يمكن عبرها التأثير في الناس، وهي تختلف عن المداهنة. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا ترخصوا لأنفسكم فتداهنوا، ولا تداهنوا في الحق فتخسروا». إن الفرق الرئيسي بين المداراة والمداهنة، أن المداهنة لا تكون في طريق التربية والهداية. ومن يداهن شخصاً يعصي الله تعالى، ليس غرضه مراعاة الأهم والمهم، بل كسب رضا العاصي على أي حال، فيجاريه من أجل مصالح شخصية، من قبيل أن يحصل على احترام العاصي أو وده، أو يحصل منه على مكسب مادي كأن يعطيه مالاً. والمداهنة مذمومة، ويحاسب الناس عليها، ولذلك روي فيما أوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ: ﴿إِنِّي مُعَذِّبُ مَن قَوْمِكَ مِائَةَ أَلْفٍ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِّن شَرَّاهِمُ وَسِتِّينَ أَلْفًا مِّن خِيَارِهِمْ﴾، فقال: (يارب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟)، فأوحى الله ﷻ إليه: (داهنوا أهل المعاصي فلم يعضبوا لعضبي). أما المداراة فهي من الدراية والعلم والمعرفة والتوسل بطرق الهداية لجلب الإنسان إلى الحق أو إبقائه عليه. وبعبارة



المرجع الشيرازي:

حذاري من الابتعاد عن

خط أهل البيت صلوات الله

عليهم، لأن الطريق المستقيم

والصحيح، هو قول أهل البيت

وفعلهم صلوات الله عليهم.

فتأملوا وابتحثوا في أحاديث

أهل البيت عليهم السلام، وانظروا بماذا

أوصوا شيعتهم من وصايا ثمينة،

بالنسبة إلى نيل الكمال. فكل

وصية من وصاياهم هي مفتاح

لحلّ مشاكل العباد جميعاً.

المرجع الشيرازي:

**يجب على الخطباء والوعاظ
أن يعملوا بالموعظة ويمتثلوا
للنصيحة، قبل أن يقولها
للناس، وقبل أن يأمرهم
بها، فمن يعمل بهذا الأمر
لا شك يرى العون من الله
تعالى.**

كان يستبدلها بكلمات أخرى من قبيل: "إني لا أفعل ذلك" و"إني أكره" لخفة وقعها على السامع، فكان الناس يعرفون الحرام من خلال هذه التعبيرات دون أن يحصل لهم أي ردّ فعل على ذلك. ومن الأمثلة على مداراة الناس في منهاج الرسول ﷺ، عدم قتله لمنافقين كانوا يستحقون القتل، لئلا يساء فهم الإسلام من بعض الناس، فيتركوه. فقد روي عن النبي ﷺ قوله: «لولا أني أكره أن يقال: إن محمداً استعان بقوم حتى إذا ظفر بعدوه قتلهم، لضربت أعناق قوم كثير». لاشك أن رسول الله ﷺ لا يقدم على قتل أحد إلا إذا كان مستحقاً للقتل، لأن القتل أمر دائر بين الواجب والحرام - حسب تعبير الفقهاء - ولا يوجد قتل مستحب أو مكروه أو مباح، كما هو الحال في الفرائض كالصوم - مثلاً - فهناك صوم واجب وصوم حرام وصوم مستحب وصوم مكروه، أما القتل فليس فيه سوى الواجب كمن هدر دمه، أو الحرمة كمن عصم دمه. لذا فقوله ﷺ: «الضربت أعناق قوم كثير»، يعني لاستحقاقهم القتل بالحكم الأولي، غير أن النبي ﷺ لم يجر الحكم لأمر أهم، وهو عدم لحوق تهمة بالإسلام قد تؤدي إلى ابتعاد الناس عنه. وهذا يوضح ما للمداراة من أهمية في الشريعة. فكما أن الإنسان يتعامل في الأمور المادية والشخصية على أساس الترجيح بين الأهم والمهم، كأن يعطي تارة مبلغاً كبيراً من المال لأحد ولا يعطي مثله لغيره، وذلك حسب ما يراه من المصلحة والأهمية، أو تارة ينفق من وقته ساعات لشخص ما، ولا ينفق إلا دقائق معدودة لآخر، فكذلك الحال في المداراة حيث ينبغي النظر إلى الأهم والمهم وتقلص الأول على الثاني.

مني صالح ما أعطيتني أبداً. اللهم لا تردني في سوء استنقذتني منه أبداً". فانصرفت أم سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله ﷺ لبكائها، فقال لها: "ما يبكيك يا أم سلمة؟" فقالت: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ولم لا أبكي، وأنت بالمكان الذي أنت به من الله، قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تسأله أن لا يشمت بك عدواً ولا حاسداً، وأن لا يردك في سوء استنقذك منه أبداً، وأن لا ينزع عنك صالح ما أعطاك أبداً، وأن لا يكللك إلى نفسك طرفة عين أبداً". فقال: "يا أم سلمة، وما يؤمنني، وإني وكل الله يونس بن متى إلى نفسه طرفة عين، فكان منه ما كان منه". فما كان ينبغي ليونس ﷺ أن يستميل قومه للإيمان، ثم يتركهم بعد مدة قصيرة، بل كان الأولى مداراته لهم أكثر، لكنه ترك الأولى، لأن الله تعالى - كما يقول النبي ﷺ - في الحديث المتقدم - أو كله إلى نفسه طرفة عين! وهذا الأمر يلزم علينا ملاحظته أيضاً، لأننا في كثير من الأحيان قد نغضب الله تعالى، ولكنه غضب عن جهل مركب، وإن كان لله، لذا يجب علينا أن لا نظهر غضبنا بسرعة لئلا يحدث - ربما - ما لا نحمد عقباه. وهذا من المداراة أيضاً. ثم إن الناس إما مؤمن أو كافر أو منافق، وكلهم بحاجة إلى المداراة، فأما المؤمن فهو بحاجة إلى المداراة ليزداد إيماناً، والكافر يحتاجها ليسلم، والمنافق ليُقلع شيئاً فشيئاً عن نفاقه ويصير مؤمناً، والمسلم بكلا قسميه يحتاج للمداراة ليثبت على إسلامه ويقويه. ومن يتبع سيرة الرسول الأعظم ﷺ يجده قمة في مداراة الناس على مختلف مشاربهم، حتى إنه ﷺ قلما كان يستعمل كلمة "حرام" في وصف ما يجب اجتنابه، بل

التعصب.. مقبرة الإيمان

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة تحتمل قويه الجهلاء، أو حجة تليط بعقول السفهاء غيركم، فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة، أما إبليس فتعصب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته فقال: أنا ناري وأنت طيني، وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين (...). فإن كنتم لا محالة متعصبين فتعصبوا لنصرة الحق وإغاثة الملهوف».

أن التعصب هو: (مشاعر أو استجابات خاصة لدى بعض الأشخاص، توجه نحو أي موضوع من الموضوعات، لا تقوم على أساس واقعي، وقد تكون إيجابية أو سلبية). ويقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): «ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم».

التعصب نقيض الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات الآخرين، وهو اتخاذ موقف سلبي إزاء حق الآخر في التمتع بحقوقه الإنسانية وحرياته. والتعصب هو نمط من السلوك يتصف بالتحيز الظاهر، والميل الشديد الذي يتمازج فيه العامل النفسي مع العامل الذهني، ويتمحور حول شيء ما، إما تجاه فكرة أو مبدأ أو معتقد، وإما تجاه شخص أو عشيرة أو جماعة. ودائماً ما يكون التعصب ناظراً إلى طرف آخر، وبدون هذا الآخر لا يكون للتعصب من حاجة أو معنى، وبالتالي فإن التعصب هو موقف سلوكي تجاه الآخر المختلف أو المغاير، فالذي يتعصب لفكرة يكون ناظراً لفكرة أخرى عند طرف آخر، وهكذا من يتعصب لشخص أو عشيرة أو جماعة. والآخر في مثل هذه الحالة يمثل حاجة وضرورة لاستشارة روح التعصب، وتحريك كوامنه، وإطلاق دفائنه، وإشعال حميته. وبدون الآخر والاحتكاك به، والتعرض له، والتراشق معه، يخبو روح التعصب، ويفقد فورته وحرارته، ويصاب بالخمول والانطفاء. وهذا يعني أن الآخر هنا، يجري استحضاره بطريقة منقوصة ومشوهة، ولأغراض توظيفية.

إن ذهنية التعصب لا تحتمل إلا صورة منقوصة ومشوهة عن الآخر، ولا تتعامل معها إلا بطريقة نمطية وتوظيفية، ولا تتقبل صورة نزيهة وموضوعية عن الآخر، فمثل هذه الصورة النزيهة والموضوعية يمكن لها أن تنتقص من الذات، وتقلل من شأنها

كما أن (الجهل مميت الأحياء)، فإن التعصب مقبرة العقل، وهو الطريق إلى الجهل والخراب والاحتراب، والتعصب في اللغة معناه: (صنع العصابة على العين لكيلا تبصر)، وهو اعتقاد المتعصب بأنه يسير على الطريق الصحيح، وبأنه يملك الحقيقة كاملة، وإن الآخر على خطأ دائماً. وقد اشتق مفهوم التعصب (في أصله الأوروبي) من المصطلح اللاتيني (Praejudicim)، ويعني (الحكم المسبق)، أما في اللغة العربية، فهو مشتق من العصبية، والتي تعني أن ينصر الفرد عصبته ظالمين أو مظلومين. يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): «العصبية التي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين».

قدم علماء النفس تعريفات لمفهوم التعصب، وإن كانت هذه التعريفات قد ركزت - في البداية - على (التعصب السلبي)، دون تناول (التعصب الإيجابي)، ربما لأن النوع الأول هو الذي يسترعي الاهتمام. ومن التعريفات المقدمة لمفهوم التعصب، والتي ركزت على جانبه السلبي فقط، التعريف الذي قدمه (نيوكومب) وآخرون، ومؤداه أن التعصب (يمثل استعداداً للتفكير والشعور والسلوك بأسلوب مضاد لأشخاص آخرين، لكونهم أعضاء في جماعة معينة). كذلك يعرفه (ستيفان) بأنه: (اتجاهات سلبية تجاه أفراد ينتمون إلى جماعة معينة، سواء قامت هذه الجماعة على أساس ديني، أو سياسي، أو أنها تنتمي إلى طبقة اجتماعية معينة، أو كونها تتسم بخصائص معينة). ويلخص (أولبورت) التعريفات العديدة التي تناولت التعصب من جانبه السلبي، بأنها تركز على أنه: (تبنى الأفكار السيئة عن الآخرين، دون توافر دلائل كافية تبرر ذلك). ومن التعريفات التي عنيت بالتعصب (السلبي والإيجابي) على السواء، التعريف الذي قدمه (كلينبرج)، ومؤداه

يفقهه الإنسان بعقله لا باستيرائه من أحد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له»، (بالفكر تتجلى غياهب الأمور). لذا ينبغي على الإنسان استكشاف الأفكار عبر القراءة الموضوعية

والبحث المقارن، (فليس طالب الدين من خبط أو خلط). وإن بإعمال العقل، سيختار الإنسان ما هو أحسن، يقول عليه السلام: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. وإن الخيط الدقيق الذي يفصل بين الالتزام بالحق والتعصب على الرأي، هو حينما يمارس الشخص الفرض والقهر والحرب لتعميم أفكاره وقناعاته، فهو يتجاوز حدود الالتزام الطبيعي، أما إذا اعتز الإنسان بأفكاره، وعمل على تعميمها بوسائل سلمية، وتعامل مع قناعاته بوصفها حقائق نسبية، قابلة للصح وقابلة للخطأ في آن، فإنه يمارس التزامه الطبيعي، وهذا بطبيعة الحال من الحقوق الطبيعية لأي إنسان.

ولقد نبه القرآن الكريم الإنسان إلى مسؤولية القرار، قرار العقل والفكر والرأي، قال عليه السلام: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام الطريق لتجنب الإنسان من الوقوع في التعصب، فقال عليه السلام: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبِيَّةٍ، بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَعْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ». وقال عليه السلام: «لَيْسَ مَنَا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مَنَا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مَنَا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ».

وشأن مكانتها ومنزلتها، أو تمس من هيتها وشوكتها، أو هكذا يمكن أن تفسر عند أصحاب هذه الذهنيات. كما أن مثل هذه الصورة التزيهية والموضوعية عن الآخر، يمكن لها أن تمتص روح التعصب وتذوّبه، أو تحدد منه ومن سطوته.

لا اختلاف على أن التعصب آفة تأكل عقل الفرد بتوترات نفسية، وتشتت جهد الجماعات بصراعات فرعية، لهذا فإن من الإيمان والعقل الابتعاد عن التعصب، والتمسك بنبل الانفتاح على الآخر، وإدراك أن ذلك فضيلة لا يمكن التفريط بها. لأن الانفتاح على الأفكار صورة من صور التكيف مع الذات، وضرورة من ضرورات الانسجام المتبادل مع الآخر وتحاشي الصراع.

إن المتعصب يعيش شداً نفسياً مشحوناً بالانفعالات المتحاملة على الآخر، وتوتره من الآخر لا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية، بل في كثير من الأحيان يستند إلى معلومات بعيدة عن الواقع، يتم التعامل معها على أنها حقائق. والمتعصب يرى الأشياء من منظاره الخاص (المختنق) فقط، ولذا فإن من أعراض التعصب أنه يشل القدرة على إدراك الواقع. كما أن المتعصب شخص سريع التأثير والانفعال والتوتر، وله قابلية عالية وغير منضبطة للانفجار والاهتياج.

ويبقى التعصب الديني أبرز أشكال التعصب ظهوراً (أثراً وتأثيراً) في المشهد الإسلامي، ليس اليوم فقط، بل منذ مئات السنين، وهو أخطر أنواع التعصب لإرتباطه بـ"مقدسات"، ولأن التعصب الديني غالباً ما يكون - تاريخياً - مغمساً بدماء الأبرياء، وكله باسم الرب، وهو ما نراه في العراق وسوريا من مذابح وتفجيرات وحشية، تلاحق الشيعة - على وجه الخصوص - أينما وجدوا.

إن طريق الإيمان لا يكون إلا بمعتقد

يقول الإمام الشيرازي قدس سره:

قد يُبتلى الفرد أو المجتمع بمرض نفسي، يسمى بالتعصب، الذي هو انحراف في العاطفة بدون منطق، فيصير على ما في جانبه، وإن لم يكن له دليل، ويرفض ما هو لصالح الآخر، وإن كان للأخر دليل، ويمكن للحزب والجماعة و... أن يبتلى بالتعصب أيضاً. وإذا أشتد التعصب حتى صار الفرد أو المجتمع حساساً شديد الحساسية تجاه ما يراه سُمي ذلك بالعقدة، كأن النفس انعقدت على ذلك الجانب، دون ملاحظة التوسط والحق، اللذين أكد الإسلام على التمسك بهما، فالتعصب داء يجب اجتنابه.

إن مبدأ اللاعنّف يتجاوز في فكر السيد المجدّد، الجانب الوطني أو القومي، وحتى الديني الإسلامي، ليرتقي إلى السمو الإنساني الرفيع، فهو مقدمة لتأسيس ثقافة قبول الآخر، وثقافة التنوع والاختلاف، وثقافة الحوار الهادئ، وثقافة التمدن والتحضّر والمعاصرة، وثقافة مقارعة الحجّة بالحجة، ليقدم بذلك منظومة سلوكية وجمالية، وبديلاً راقياً وحضارياً، عن ثقافة العنف والتحاور بالسلاح، وإلغاء الآخر ورفض الاختلاف، والأخذ على الشبهات.

واعتماد الأطر الفكرية والحضارية، المهنية والتقنية، في تشكيل الرأي العام، بديلاً عن نهج الفرض والقمع والإملاء، والتهديد ومصادرة الحريات، فضلاً عن استخدام أدوات الإعلام الحقيقي، المتشكل بالمصادقية والشفافية والمصارحة، بدلاً عن الخداع والتشويه للحقائق، هذه الثقافة النبيلة تمثل الجوانب الإنسانية المشرقة، في فكر السيد المجدّد وتعاليمه، المعتمدة على الأخلاقيات والمعايير المهنية الصحفية والإعلامية، وقواعدها القياسية الحرفية، بدلاً عن إلغاء عقل المتلقي، وتصنيع الرأي المسبق.

يضع المفكر المجدّد، مبدأ استراتيجياً، مفاده إن العنف، لا يوصل الإنسان إلى أهدافه التي يتوخاها، مبنياً (أنك مهما كنت عنيفاً فإن عدوك أعنف منك)، بمعنى أن الآخر قد تنهياً له المقدرة من سلاح وتجهيز، لا تتوفر للمسلم، فيكون عليه (إشهار سلاح الروح لمقاومة سلاح البدن)، وفق ثقافة الحوار والكلمة الطيبة، ونبذ العنف في سجال الأفكار والآراء المختلفة، عملاً بالآية الكريمة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

إن ذلك وفق النظرة الثابتة للسيد المجدّد إلى مبدأ اللاعنّف، كونه يشمل بمنهجه، النفس والقلب واللسان والقلم واليد، وفق المرويات عن الرسول الأكرم ﷺ ومدرسة آل البيت ، خدمة للسلام وتثبيت الاستقرار في المجتمع، وقبول الآخر وتحكيم لغة الحوار بدلاً من لغة العنف، ﴿وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وذلك (يلزم تجنب الشباب مفاهيم العنف، لئلا يصبح منهجاً في حياتهم وملكة من ملكاتهم، فالعنف يفسد كل أمر صالح).

إنها رؤية متقدمة وحتى سابقة لزمانها، لحالة الفوضى في المجتمع العراقي المعاصر، والمجتمعات التي تعيش تغييرات سياسية،

إن القيمة الفكرية الإنسانية في مدرسة المفكر المجدّد السيد محمد الحسيني الشيرازي، المتجسدة من خلال أنسنة البحث العلمي وأخلاقياته النبيلة، والتي تمحورت حولها مجموعة الأطر والمبادئ، المشكلة للجوانب المعرفية والعلمية، التربوية والسلوكية، تعد (القيمة الفكرية الإنسانية)، الضامنة الأساس، لدعم وإشاعة السلم الأهلي، وثقافة قبول الآخر، واحترام الاختلاف، والعيش المشترك والتعايش السلمي، والشراكة في الوطن والموارد، فهي الحالة المنتجة لعنوان (اللاعنف والسلم المجتمعي)، والتي تشكل الثقافة الداعمة، والموضوعية المتقدمة، لكل جوانب الحياة المشرقة.

إن ثقافة اللاعنّف والسلم المجتمعي، أصبحت عنواناً ملازماً لرؤية السيد المجدّد، لجوهر الإسلام وسماحته ورحمته، فهي ثقافة أسست لفكر مجدّد وحدثي، يلامس الجوانب السلوكية للفرد كوحدة بناء، والمجتمع كمنظمة جامعة، في العلاقات المجتمعية الرأسية والإشرافية، وما دونها من العلاقات البينية بين الأفراد والهيئات، وسائر التنظيمات المتحركة داخل المجتمع، وبينها وبين الدولة ومؤسساتها، وبين المكونات الوطنية والدينية والقومية، في علاقاتها مع بعضها ببنياً، وبين الدولة والدول التي تمثلها.

إن مبدأ اللاعنّف يتجاوز في فكر السيد المجدّد، الجانب الوطني أو القومي، وحتى الديني الإسلامي، ليرتقي بهذا النهج إلى السمو الإنساني الرفيع، فهو مقدمة لتأسيس ثقافة قبول الآخر، وثقافة التنوع والاختلاف، وثقافة الحوار الهادئ، وثقافة التمدن والتحضّر والمعاصرة، وثقافة مقارعة الحجّة بالحجة، لتقدم بذلك منظومة سلوكية وجمالية، وبديلاً راقياً وحضارياً، عن ثقافة العنف والتحاور بالسلاح، وإلغاء الآخر ورفض الاختلاف، والأخذ على الشبهات. إن إشاعة هذه الثقافة لدى الرأي العام،

مهمة واعية، وذات نظرة إيجابية واقعية، منفتحة على الآخر، للوصول إلى روح الحضارة البشرية، وفلسفة الحياة الإنسانية، من خلال التلاقح والحوار والتواصل، بين المجتمع الإسلامي، بقيمه وروحه، والغربي بنظامه وجماليته وتطوره العلمي، وهي معالم مستمدة من توجاهات الحضارة الإسلامية، كمثّل مبادئ التعددية والشورى والعدالة الإنسانية، بهدف تجديد إنطلاق الأول، ومنع الثاني من السقوط. ومن هنا فإن هذه الرؤية (الواعية المنفتحة) للإمام المجدد، تدعم مستقبل الحضارة الإنسانية، والمجتمع البشري، عبر دعوة إلى الحوار، ضمن ثقافة علمية، وفي مقاربة واقعية نبيلة لمبدأ اللاعنف، بدلاً من تحرّصات (صامويل هنتنغتون)، في كتابه (صدام الحضارات)، في زعم جدليته وحتميته.

ويدعو سماحته، في استكمالها لهذا المبدأ، وبأن لا يكون مجلبة للضعف والوهن، إلى أن يكون السلاح واستخدام العنف، هو لدفع التهديد الخارجي على بلاد الإسلام، في حرب ونحوها، مبيناً أن الضرورات تقدر بقدرها، (كالعملية الجراحية حيث لا يبيضون من المريض أكثر من القدر الضروري). والسبب الآخر للتسلح، هو لدفع الضرر الاجتماعي، في حالات الاعتداء على أرواح الناس وأعراضهم وممتلكاتهم داخل بلاد المسلمين. (أما استخدام العنف في التبليغ وغيره فلا ينتج إلا العكس)، وبذا فقد حدد السيد المجدد استخدام القوة وامتلاك السلاح (لطائفتين فقط)، وهما للدفاع عن الوطن إزاء التهديدات الخارجية، وقوى الأمن الداخلي، التي تفرض الأمن المجتمعي وتكافح الجريمة العادية والمنظمة، وهي الدالة المنسجمة تماماً مع مرتكزات (الأمن الوطني) أو (الدفاع الوطني) الذي تتضمن المرتكزات الأساسية في الاستراتيجية الوطنية العليا أو (إستراتيجية الأمن الوطني).

كنتيجة لإشاعة العنف، لغة للحوار ورفض الآخر وعدم قبول الاختلاف، فيؤكد سماحته أنه (فيجب أن يصبح اللاعنف ملكة)، وهو يبدأ من النفس إلى الأعضاء والجوارح، وقد أبسط المجدد لمباحث اللاعنف، في الكثير من آثاره الفكرية، باعتبارها من صلب سلوك وأخلاقيات مدرسة آل البيت (عليهم السلام)، وأعمالهم في السلم والحرب.

وفي عنوان (المجرة ومسيرة التكامل)، يعرض المفكر المجدد لمسألة، تمثل قانوناً حاكماً في فلسفة التاريخ، وهي أن المجرة والتغرب، من عوامل تفجر الطاقات، وتحريك الأمم وبزوغ الحضارات، ونمو المواهب، ويرى أن الإسلام لا يعترف بالحدود الجغرافية، كونها تحدد مسيرة التكامل الإنساني. ويحتج السيد المجدد في ذلك، بأمثلة وشواهد تاريخية، لشخصيات عبرت الحدود، وتحملت المسؤوليات، بمن فيهم الأنبياء (عليهم السلام)، وهو ما يدعو إليه، في (شورى الفقهاء)، دون النظر إلى موطن العضو فيها، وذلك ينصرف إلى جميع نواحي الحياة، وبمجالات المسؤولية فيها، لجهة توليتها على أساس الكفاءة، وليس على أساس العرق، ويستشهد المبحث إلى ذلك، بأمثلة وشواهد واسعة، من التاريخ العربي الإسلامي، حتى فترة ما قبل قرن من الزمن. من الرؤية الإنسانية للسيد المجدد، فإن ثقافة اللاعنف، تتجاوز العلاقة البينية بين الفرد والفرد، أو الفرد في مجتمعه، أو بين المجتمعات المتقاربة أو المتشاركة في الأوطان والموارد، بل يعبر المفهوم في فكر سماحته إلى المعادلة الأوسع، وضمن الرؤية العالمية لمنظومة الفكر الإسلامي، وهي العلاقة التي يعرضها سماحته، لتجمع الشعوب ببعضها، ثم بين الحضارات التي قد تتنافس، أو تتباين الرؤى والثقافات والعقائد بينها. فيطرح سماحته عنواناً رائعاً، ومتفرداً في جرأة طرحه، بين الأدبيات المقاربة، وهو أن (علينا أن نمنع الغرب من السقوط)، في "مسألة"

إن الرؤية الإنسانية (الواعية)

المنفتحة) للإمام المجدد، تدعم

مستقبل الحضارة الإنسانية،

والمجتمع البشري، عبر دعوة إلى

الحوار، ضمن ثقافة علمية، وفي

مقاربة واقعية نبيلة لمبدأ اللاعنف،

بدلاً من تحرّصات (صموئيل

هنتنغتون)، في كتابه (صراع

الحضارات)، بزعم جدليته

وحتميته.

دفعاً للتشويه .. تعزيزاً للأخوة

بعد تطور وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال التي فجرت معها ما عرف بثورة المعلومات، تفتح وعي العالم على ظاهرة التكفير الديني، نتيجة انبعاث واسع ومخيف لأفكار ونزعات التعصب والتطرف التي لا تقبل التعايش مع الآخر مهما كانت طبيعة هذا الآخر وهويته، ولا التواصل معه أو الافتتاح عليه، ولا تعامل إلا بذهنية الإلغاء والإقصاء، وبمنطق القسوة والصدام، وبمنهج الأحادية واحتكار الحقيقة المطلقة.

وقد أطلقت هذه الأفكار والنزعات موجة من الكراهية الدينية أثارت معها حفيظة العالم، وفي مقدمتهم العقلاء والحكماء في كل الأديان والمذاهب والجماعات، الذين أخذوا يحذرون من خطورة تفشي وتنامي مثل هذه الظاهرة، وعبورها وامتدادها بين المجتمعات الإنسانية، وظلوا يطالبون بتضامن إنساني وعلمي للوقوف بوجه هذه الظاهرة، والإعلان عن رفضها ومقتها والتشجيع بها.

وحقيقة الأمر أن المشكلة ليس في الاختلافات التي ظهرت وتظهر بين الأديان والمذاهب والجماعات، إنما في تحول هذه الاختلافات إلى كراهية، وإعطائها تسويغات دينية تحرض على التنافر والتباعد والتباغض، وقد يتطور الأمر ويصل الحال إلى الدعوة لعدم مجالسة المختلف معه، والابتعاد عن مجاورته، وترك توقيره ومكالمته ومجادلته، وعدم بسط الوجه له، وحتى السلام عليه. وإن منع المشكلة يكمن في وجود فئة من الناس تحترف الكراهية وتمتحن القتل، فهي لا ترى العبادة إلا عبر إراقة دماء الناس ذبحاً وإزهاق أرواحهم تفجيراً. والغريب، أن التحريض العلني ضد الشيعة أصبح مشاعاً بشكل ملحوظ، ويأتي من حكام وفقهاء وسياسيين ومتقنين وإسلاميين وعلمانيين، ففي كل يوم تتفق وسائل الإعلام بدعوى أو فتوى تحرض على قتل الشيعة. وهذه الفتاوى تتمحور حول اعتبار (عموم الشيعة كفرة مشركين)، وإن (خطرهم على المسلمين أعظم من خطر اليهود والنصارى)، ويجب الحذر من الشيعة، وعدم الاغترار بما يدعونه من الانتصار للإسلام)، وإن (مذهب أهل السنة ومذهب الشيعة ضدان لا يجتمعان، ولا يمكن التقريب إلا على أساس التنازل عن مذهب السنة أو بعضها أو السكوت عن باطل الرافضة، وهذا مطلب لكل منحرف عن الصراط المستقيم)، وأن (الخطر يكمن في عموم الشيعة، فقهاء ومواطنين عاديين، لأنهم متعصبون لا يستجيبون لداعي الحق).

قال شيخ الأزهر د. أحمد الطيب: (حينما تكون هناك فضائيات تحكم بكفر الشيعة، هذا شيء مرفوض، وغير مقبول، ولا نجد له مبرراً، لا من كتاب ولا سنة ولا إسلام. نحن نصلي وراء الشيعة، فلا يوجد عند الشيعة قرآن آخر، كما تطلق الشائعات، وإلا ما ترك المستشرقون هذا الأمر، فهذا بالنسبة لهم صيد ثمين، ولي بحث في هذا المجال. جميع مفسري أهل السنة من الطبري وحتى الآن، لم يقل منهم أحد أن الشيعة لديهم قرآن آخر. لا يوجد خلاف بين السني والشيعة يخرجهم من الإسلام، إنما هي عملية استغلال السياسة لهذه الخلافات).

ودفعاً لشروخ الفتنة التي يراد تفجيرها بين مكونات المجتمع، وعلى وجه الخصوص بين السنة والشيعة لتحترق البلاد والعباد، لا بد من التذكير بفتاوى على الضد من تلك الفتاوى التكفيرية، فلا تخلو الساحة من أصوات العقلاء الذين يقدمون الإسلام بسماحته، فإن من الموضوعية القول بأن التكفيريين شرذمة إجرامية، غريبة عن أمة العقل والعدل والرحمة والمحبة.

يرى شيخ الأزهر السابق د. محمد سيد طنطاوي (لا فرق بين السنة والشيعة، وأن كل من يشهد أن لا إله إلا الله فهو مسلم، وإن الخلاف إن وجد فهو خلاف في الفروع وليس في الثوابت والأصول، والخلاف موجود في الفروع بين السنة أنفسهم والشيعة أنفسهم). وقال (إن كل من يحاول إشاعة الخلاف بين السنة والشيعة مأثوم).

د. عبد الصبور مرزوق، الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في جمهورية مصر العربية، ومدير رابطة العالم الإسلامي، والمفكر والمؤلف والأستاذ الجامعي (ت ١٤٢٩هـ)، يؤكد: (ثبت بالدليل القاطع، أنه لا يوجد لدى الشيعة قرآن خاص بهم، ولا يوجد ما يقال عنه مصحف فاطمة، فهو غير صحيح).

كما تم اعتماد المذهب الجعفري، ليدرس في جامعة الأزهر، وإلى الآن يدرس بالفعل. فإن الشيخ محمود شلتوت كان قد أصدر في الستينات (فتوى أثارت جدلاً كبيراً، وأجازت الفتوى التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، وقد عضد الشيخ محمد الغزالي هذه الفتوى برأيه فيها. وتقول الفتوى كما وردت على لسان الشيخ محمود شلتوت: (إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل إن لكل مسلم الحق في أن يقلد - بادية ذي بدء - أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل لغيره من المذاهب، ولا حرج عليه في شيء من ذلك، وأن مذهب الجعفرية المعروفة بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغي على المسلمين، أن يعرفوا ذلك، ويتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب

معينة، فما كان دين الله، وما كانت شريعته لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكلمة مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق بين العبادات والمعاملات).

يقول الإمام الشيرازي تَبَيَّنَ في محاضراته عن (واقع الشيعة): لقد كان ابتعاد بعض أهل السنة عن الشيعة شيئاً على خلاف الإسلام الذي ينصّ بوجود وحدة المسلمين،

كما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾، وعلى خلاف رغبة علماء السنة العظام قديماً وحديثاً، فانظر إلى كلام العلامة الذهبي الذي هو من أعظم العلماء، إذ يقول في (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥): (فهذا أي التشيع. كثر في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلو ردّ حديث هؤلاء أي الشيعة. لذهبت جملة الآثار النبوية). وقد ذكر العلامة الأجلّ شرف الدين في كتابه القيم (المراجعات) أسماء مائة من رجال الشيعة الذين أخذت عنهم العلماء في كتب الحديث وغيرها.

وقد اقتفى آثار أولئك السابقين من العلماء في هذا الأمر العديد من العلماء، فقال شيخ الجامع الأزهر (السبق) في فتاواه التي نشرتها مطبعة دار البصري ببغداد سنة ١٣٨٥هـ في كتاب (المؤتمر الإسلامي العراقي) ما نصّه: (فقد عملت منذ تقلّدي مناصبي في العام الماضي على جمع كلمة المسلمين، وإزالة ما بينهم من خلافات مذهبية، وقد سرّني أن يلبي الدعوة. أي دعوة المؤتمر. علماء خمس وثلاثين دولة إسلامية، وفي مقدمتهم علماء العراق)، ثم ذكر أنه تشرف برئاسة موسوعة في الفقه تعد موسوعة فقهية للمذاهب الإسلامية، بما فيها المذاهب الأربعة المعروفة، ومذهب الزيدية والشيعة الإمامية.

- * إصدار: مؤسسة الإمام الشيرازي العالمية
- * إعداد: لجنة الاستفتاء في مكتب الإمام الشيرازي
- * توزيع: مؤسسة المستقبل للثقافة والإعلام
- * تصميم وإخراج: موقع الإمام الشيرازي